

السؤال

هل الكافر إذا كان يؤذي الناس ، ويتمادى في الفساد ، وكافر آخر لا يؤذي الناس ، فهل الكافر الذي يؤذي الناس ويتمادى في الفساد يمكن عند إسلامه أعظم أجراً من الكافر الذي لا يؤذي الناس إذا أسلم هو أيضاً ؛ لأن الكافر الذي يؤذي الناس له سيئات كثيرة فتصبح عند إسلامه وتوبته كلها حسنات، يعني هل تبدل سيئاته التي عملها أثناء ارتداده إلى حسنات يعني إذا عنده ألف سيئة تصبح ألف حسنة ؟ والدليل ما أخرجه الطبراني من حديث عبد الرحمن بن جبير بن نفير ، عن أبي فروة شطب أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : أرأيت رجلاً عمل الذنوب كلها ، ولم يترك حاجة ولا داجة ، فهل له من توبة ؟ فقال : (أسلمت ؟) فقال : نعم ، قال : (فافعل الخيرات ، واترك السيئات ، فيجعلها الله لك خيرات كلها) ، قال : وغدراتي وفجراتي ؟ قال : (نعم) قال : فما زال يكبر حتى توارى . وفي صحيح مسلم عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (إني لأعلمُ آخرَ أهلِ الجنةِ دخُولاً الجنةَ ، وآخرَ أهلِ النارِ خُرُوجاً منها ، رجلٌ يؤتى به يومَ القيامةِ ، فيقالُ: اعرضوا عليه صِغارَ ذُنُوبِهِ ، وارفعوا عنه كِبَارَهَا ، فتعرضُ عليه صِغارُ ذُنُوبِهِ ، فيقالُ: عملتَ يومَ كَذَا وَكَذَا وَكَذَا ، وعملتَ يومَ كَذَا وَكَذَا وَكَذَا ، فيقولُ: نعم ، لا يستطيعُ أنْ ينكرَ وهو مُشْفِقٌ من كِبَارِ ذُنُوبِهِ أنْ تُعرضَ عليه ، فيقالُ له: فإنْ لك مكانَ كُلِّ سيئةٍ حسنةً ، فيقولُ: ربِّ ، قد عملتُ أشياءَ لا أراها ها هنا) فلقد رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ضحكاً حتى بدتْ نواجذُهُ . وحديث آخر ليعتمنين أقوما لو أكثروا من السيئات إلى نهاية الحديث ، فهل هذا الكلام صحيح ؟

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

دلت النصوص على أن الكافر إذا أسلم بدلت سيئاته حسنات، ومن ذلك قوله تعالى: (وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا) الفرقان/68-70.

ومن ذلك حديث أبي فروة الذي ذكرت، وهو حديث حسن صحيح كما قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في المطالب العالية (2847).

وقال الحافظ ابن رجب رحمه الله: " وقد وردت أحاديث صريحة في أن الكافر إذا أسلم ، وحسن إسلامه ، تبدلت سيئاته في الشرك حسنات ، فخرج الطبراني من حديث عبد الرحمن بن جبير بن نفير ، عن أبي فروة شطب أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : أرأيت رجلاً عمل الذنوب كلها ، ولم يترك حاجة ولا داجة ، فهل له من توبة ؟ فقال : " أسلمت ؟ " فقال : نعم ،

قال : " فافعل الخيرات ، واترك السيئات ، فيجعلها الله لك خيرات كلها " قال : وغدراتي وفجراتي ؟ قال : " نعم " قال : فما زال يكبر حتى توارى" انتهى من جامع العلوم والحكم (2/ 300).

وأما حديث: "ليتمنين أقوام..." فقد رواه الحاكم في المستدرک (7718) عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - : " ليتمنين أقوام لو أكثروا من السيئات " ، قالوا : بم يا رسول الله ؟ قال : (الذين بدل الله سيئاتهم حسنات) " وصححه الحاكم، والألباني في السلسلة الصحيحة (5/ 209).

وهذا الحديث وحديث أبي ذر عند مسلم هو في شأن المسلم المذنب، فإنه تبدل سيئاته حسنات أيضا ، بالتوبة، وينظر للفائدة: جواب السؤال رقم (129710).

فإن قيل: كيف ينال الكافر المؤذي للمسلمين أجرا أكثر من الكافر الذي كان لا يؤذيه، أي إذا أسلم هذا وهذا؟

فالجواب من وجوه:

الأول: أن هذا الكافر الفاجر المؤذي لو أسلم كان ذلك عملا عظيما كبيرا؛ لما فيه من تخليه عن دينه، وشهوته وجرائمه، وكلما عظمت جرائمه ، كان تخليه عنها أعظم من تخلي من قتل جرائمه وموبقاته، فلا عجب أن يكون أجره أعظم وأكبر حين تبدل سيئاته حسنات.

الثاني: أن الشأن كله في توفيق هذا الكافر الفاجر للإسلام، فلا يوفق لذلك كل أحد، والله أعلم بمن يستحق الهداية والإكرام، ممن لا يستحق ذلك، كما قال تعالى: (وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ) الأنعام/53

الثالث : أن هذا التبديل في الدنيا ، بمعنى أن الله يُبدِّلُ من أسلم وتاب إليه بدلَ ما كان عليه من الكفر والمعاصي : الإيمان والأعمال الصالحة . وحكى هذا القول إبراهيم الحربي في " غريب الحديث " عن أكثر المفسرين ، وسمى منهم : ابن عباس ، وعطاء ، وقتادة ، والسُّدي ، وعكرمة . وهو المشهورُ عن الحسن . ينظر : " جامع العلوم والحكم " لابن رجب " (1/319) .

الرابع : وهو ما ارتضاه ابن رجب الحنبلي رحمه الله ، تقريرا ، في جواب من قال : " يُلْزَمُ من ذلك أن يكون مَنْ كَثُرَتْ سيئاته أحسنَ حالاً ممن قَلَّتْ سيئاته ؟ "

فيقال : إنما التبديلُ في حقِّ مَنْ نَدِمَ على سيئاته ، وجعلها نصبَ عينيه ، فكلما ذكرها ازداد خوفاً ووجلاً وحياءً من الله ، ومسارعة إلى الأعمال الصالحة المكفرة ، كما قال تعالى : (إِلا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً) ، وما ذكرناه كله داخل في العمل الصالح ، ومن كانت هذه حاله فإنه يتجرعُ من مرارة الندم والأسف على ذنوبه أضعافَ ما ذاق من حلاوتها عند فعلها ، ويصيرُ كلُّ ذنبٍ من ذنوبه سبباً لأعمالٍ صالحةٍ ماحية له ، فلا يُستنكر بعد هذا تبدل هذه الذنوب حسنات. " انتهى، من "جامع



العلوم والحكم " (1/322) .

والله أعلم .